المحاضرة العاشرة:أعلام الإستشراق (مارجليوث)

– من هو مرجليوث؟

ديفد صمويل مرجليوث : (David Samuel Margoliouth)مستشرق انجليزي (1858-1940م). بدأت عنايته بالدراسات العربية والسامية بعد أن عُيِّن أستاذا في جامعة أكسفورد سنة 1889م. كتب بحثا عن أوراق البردي العربية في مكتبة بودلي بأوكسفورد 1893م، وترجم قِسما كبيرا من تفسير البيضاوي إلى الإنجليزية سنة 1894م كما نشر رسائل أبي العلاء المعري سنة 1898م.

وفي سنة 1905م بدأ بنشر دراساته عن الإسلام، وذلك بكتاب (محمد ونشأة الإسلام) ثم كتاب(الإسلام)سنة 1911م، ثم نشر محاضرات كان قد ألقاها عن تطوُّر الإسلام في بدايته سنة 1914م، والعلاقات بين العرب واليهود سنة 1924م، كما نشر مجموعة من الكتب التراثية المتنوعة، وقد اختاره المجمع العلمي العربي في دمشق عضوا مراسلا عند نشأته في سنة 1920م.

والحديث عن مرجليوث هو حديث عن قضية النحل والانتحال في أدب الجاهلية والتي تناولها علماء اللغة القدامى منذ القرن الثاني للهجرة، وخصوصا في القرنين الثالث والرابع، وتراوحت دراستها بين ابن سلام الجمحي قديما ثم مرجليوث من المستشرقين حديثا، ليتلقَّف طه حسين أفكار هذا المستشرق ويدلي بدلوه في المسألة.

على أن الناظر في تطور هذه القضية النقدية يلاحظ أن التشكيك في أدب الجاهلية أخذ منحى آخر مع المستشرق مرجليوث، إذ يعدُّ من أوائل من أثار مسألة الشك في الشعر الجاهلي حديثا، من خلال البحث الذي نشره في مجلة(الجامعة الآسيوية الملكية)الإنجليزية والمعنون بـ The original Arabic poetry، والمترجم في كتاب(أصول الشعر العربي)، وفيه يعتقد أن ما وصل إليه في بحثه "كاف لوضع كل ما يُقال إنه شعر جاهلي وبما فيه أيضا كل الشعر السابق على العهد الأموي موضع الشك"[1]

[1] ديفيد صمويل مرجليوث، أصول الشعر العربي، ترجمة وتعليق ودراسة د. إبراهيم عوض، دار الفردوس، 2006 م، ص107

فالشعر الجاهلي بالنسبة لمرجليوث ليس وليد فترة ما قبل الإسلام، بل هو نتاج مرحلة تالية لظهور الإسلام، والشعر الإسلامي لا يرجع بدوره للعصر الإسلامي .فقد أبدى مرجليوث شكَّه في كيفية انتقال الشعر الجاهلي وحصرَه في الكتابة أو الرواية الشفوية، مُثيرا شكوكا حول الطريقة الثانية.

ومجمل الكلام أن الشعر الذي يزعم أنه جاهلي إنما هو مرحلة تالية للقرآن لا سابقة عليه من منظور مرجليوث[1]

ومعلوم كيف أن هذا الموقف من الشعر الجاهلي والإسلامي بين مرفوض ومشكوك فيه، يحاول بطريقة ما أن يثير بعض الشبهات الخطيرة، ناهيك عن مقولات أخرى أطلقها هذا المستشرق وتبناها غيره.

فرفْض الشعر الجاهلي والإسلامي أو التشكيك فيهما هو تشكيك بفصاحة العرب، ولا ريب أن القرآن نزل بلسان عربي مُبين على أمة البلاغة والفصاحة والنظم، وهذا يعدُّ وجها من وجوه الإعجاز، فسموّ بلاغة الفرقان ونظمه وبديع أسلوبه أعجز أساطين البيان ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ {لطور:33-34}، وهذا التحدي موجَّه لأناس هم أهل الفصاحة والبيان، وليس كما ادّعى مرجليوث.

ناهيك عن تحامله على النبي – صلى الله عليه وسلم – وسيرته الشريفة، وتأويله الخاطئ لكثير من أحداث السيرة النبوية، وتشكيكه في الأسانيد معارضا بذلك ما توصَّل إليه المحقِّقون.

[1]ديفيد صمويل مرجليوث، أصول الشعر العربي ، وينظر أيضا: دراسة للموضوع من وجهة نظر المستشرقين فيما جمعه عبد الرحمن بدوي من مقالات بعض المستشرقين: دراسة المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ترجمها عن الفرنسية والألمانية والانجليزية: عبد الرحمن بدوي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979م.